## مقدمة

تعد الحضارة الرومانية أو روما القديمة، من أعظم حضارات أوروبا بعد الحضارة الإغريقية. وقد كان الامتداد الزماني لهذه الحضارة من 753ق.م إلى 476م والتي امتدت لما يعرف الآن بأسبانيا حتى جنوبي آسيا عبر الساحل الشمالي لإفريقيا وضموا فيما بعد كل ما تبقى من أوروبا إلى إمبراطوريتهم .

فما هي الحضارة الرومانية؟ وما هي أهم مقوماتها ومعتقداتها؟

ولقد تم تناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية :

نشأة الحضارة الرومانية وتطورها

-.نشأتها

-عوامل قيام الحضارة الرومانية

-مراحل تطور الحكم في الحضارة الرومانية

مظاهر الحضارة الرومانية

-النظام العسكري ونظام الحكم

-النظام الاقتصادي

-الحياة الاجتماعية، العلمية و الدينية

## نشأة الحضارة الرومانية وتطورها

### أولا- الموقع الجغرافي للحضارة الرومانية:

بمثابة شبه جزيرة (إيطاليا حاليا) في وسط البحر المتوسط ، تشكل مع صقلية جسرا طبيعيا بين أوروبا وإفريقيا وقد كانت إيطاليا مهجرا لأبناء الحضارات القديمة وملتقى للتأثيرات الحضارية الفينيقية والقرطاجية واليونانية .

### ثانيا- نشأة الحضارة الرومانية

نشأت من مجتمع زراعي صغير بدأ في شبه الجزيرة الإيطالية في القرن التاسع قبل الميلاد، إلى أن أصبحت حاضرة عظيمة بسطت سيطرتها حول معظم بلاد البحر الأبيض المتوسط.

وتعتبر الحضارة الرومانية من أعظم حضارات أوروبا بعد الحضارة الإغريقية. ولا يعرف المؤرخون كيف ومتى قامت روما. لكنها كانت تبسط سيطرتها على جميع شبه جزيرة إيطاليا كما تمكّنوا من بناء إمبراطورية امتدت لما يعرف الآن بإسبانيا حتى جنوبي آسيا عبر الساحل الشمالي لإفريقيا وضموا فيما بعد كل ما تبقى من أوروبا إلى إمبراطوريتهم.

تقول الأساطير أن روما نشأت فوق سبع تلال ولم يحدد المؤرخون نشأة روما بالضبط ولكن المعروف هو أنه كانت مجموعة من القبائل اللاتينية تجمعت فيما بينها وأنشأت ما يسمى بـ (روما).

**وينقسم سكان ايطاليا القديمة إلى قسمين:**

أ- الإيطاليون: هم اللآتين، الكمبانيون، والامبريون، السابنيون، السامنيون، الايكوبين، اللوكونو، الغاليون .

ب- غير الإيطاليين : وهم الليجور، الاتروسكان، الإغريق (اليونان).

**ثالثا: عوامل قيام الحضارة الرومانية**: ومن بين عوامل قيام الحضارة الرومانية:

1- المناخ المعتدل: الذي تميز به مناخ شبه جزيرة إيطاليا، حيث يسود مناخ البحر المتوسط في الجنوب أما في الشمال فيسود المناخ (الألبي) حيث الثلوج والبرد شتاء.

2- التربة الخصبة: توجد سهول شاسعة محاطة بجبال شبه جزيرة الأبنين.

3-توافر المياه:الأمطار الموسمية والأنهار مثل :نهر التيبر ونهر الأرنو.

**رابعا: مراحل تطور الحكم في الحضارة الرومانية:**

1- مرحلة تأسيس المملكة الرومانية:

تأسست في هذا العصر الملكية ودولة روما في 753 ق.م. ويعتبر العلماء رومولوس مؤسس الملكية في روما والمحدر من سلالته سبعة ملوك آخرين، وفي هذا العصر توسعت روما وزاد نفوذها ودفعها هذا

التوسع إلى النمو والتطور والازدهار.ويتفق العلماء على أن هذا العصر انتهى في نهاية عام 510 ق.م. بإعلان الجمهورية وبداية عصر جديد.

## 2- مرحلة عصر الجمهورية (509 ق.م. -30 ق.م.)

- تطور نظام الحكم عند الرومان في العصر الجمهوري:

ينقسم المجتمع إلى طبقة النبلاء والأشراف (أقلية) وطبقة عامة الشعب وهم الأغلبية، وكان النبلاء والأشراف يتمتعون بجميع حقوقهم السياسية والمدنية والاجتماعية وانفرادهم بالمال والأراضي . في حين كانت طبقة عامة الشعب محرومة من هذه الحقوق، وكان الحكم عند الرومان في عصر الجمهورية يتكون من:

أ- السلطة التشريعية ب- السلطة التنفيذية

### -أ-السلطة التشريعية تتكون من:

أ- مجلس الشيوخ أو السناتوس ومهمته:إصدار القوانين/السياسة الخارجية وقرار الحرب

وكانت عضوية مجلس الشيوخ تتم بالإنتخاب ويتم اختيارهم من طبقة النبلاء والأشراف ويستمر عضوا في المجلس مدى الحياة.

ب- الجمعية الشعبية ومهمتها:

كانت تتمتع بنفس سلطة مجلس الشيوخ والسناتوس وكان أعضاء الجمعية الشعبية يتم انتخابهم من عامة الشعب وتستمر مدى الحياة.

ب.- السلطة التنفيذية وتتكون من مجموعة من الوظائف وهي:

.منصب القناصل : وهو يقابل رئيس الجمهورية، ويرأس الدولة قنصلين في وقت واحد كل واحد مدته عام فقط.

.منصب الترابنه : وهي لجنة العسكريين تتمتع بسلطة القناصل في الظروف الحربية.

.منصب الدكتاتور : منصب ثانوي يُختار صاحبه في الحالات الطارئة ليحل محل رئيس الدولة (القنصل) ومدته في المنصب ستة شهور فقط لا تجدد.

.منصب البريتور : وهو صاحب السلطة القضائية

.منصب الرقيب : وهي وظيفة مساعد القنصل

.منصب الايديل : مهمته الإشراف على الأسعار والأسواق والمرافق.

.منصب الكوستور: وهي وظيفة تختص بالشئون المالية وخزينة الدولة.

يتم تولي هذه المناصب عن طريق الانتخابات والوصول إليها بالتدرج من المناصب الأقل إلى الأكثر أهمية ، وكان العمل في هذه المناصب بدون مُرتب للوظيفة لذلك فالذي يتم انتخابه هم أصحاب القدرة والإمكانيات المادية مثل النبلاء والأشراف والذين كانت لديهم القدرة على شراء الأصوات في الانتخابات.
لذلك نجد أن نظام الحكم عند الرومان وضع السلطة التشريعية في يد النبلاء والأشراف وكذلك السلطة التنفيذية أصبحت في يد طبقة النبلاء والأشراف، وهكذا نجد أن القوانين الرومانية عجزت عن تحقيق التكافؤ الاجتماعي والسياسي للمواطنين من عامة الشعب في حين زاد نفوذ طبقة النبلاء والأشراف، وأن السلطتين التشريعية والتنفيذية في يد طبقة النبلاء والأشراف وهم الأقلية وأن الأغلبية من عامة الشعب محرومة من هذه الحقوق، فبدأت طبقة عامة الناس تطالب بهذه الحقوق واستمر الصراع بين الطبقتين أكثر من قرنين من الزمن (494 ق.م.- 387 ق.م .)

وقد حكم روما في هذا العصر الكثير من الحكام ولكن سوف نركز على شخصية مشهورة وبارزة في هذا العصر وهو يوليوس قيصر.

كان يوليوس قيصر من طبقة النبلاء والأشراف ولكنه يميل إلى مناصرة عامة الشعب وتولى جميع مناصب الدولة بالتدرج حتى وصل إلى وظيفة قنصل أو رئيس الدولة وكان معاديا لمجلس الشيوخ والسناتوس ومحبوباً من عامة الناس والجيش . وعندما انتهت فترة حكمه كقنصل رفض مجلس الشيوخ التجديد له فعاد مع جيشه وسيطر بالقوة العسكرية على روما وأصبح سيد البلاد والحاكم الغير منافس في عام 59 ق.م.، وقد أحبه الشعب لما قام به من إصلاحات وما حققه من انتصارات عسكرية.

في أوربا وشمال إفريقيه، ومن أبرز إصلاحاته:

1. قضى على سلطة مجلس الشيوخ وحوله الى هيئة استشارية
2. أصلح نظام الحكم في الولايات ونظام الضرائب واختار الأكفاء للمناصب
3. غير التقويم واعتمد التقويم المصري وسمى الشهر الذي ولد فيه وهو شهر يوليو باسمه، وجعل السنة تبدأ من شهر يناير.
4. سمح للجمعيات الشعبية بالاستمرار في العمل ولكن بسلطة محدودة.

اغتيل يوليوس قيصر بمؤامرة من مجلس الشيوخ في عام 44 ق.م .، وأعقب اغتياله فترة من الفوضى السياسية والعسكرية، وظهرت شخصيتين عسكريتين متنافستين على السلطة وهما :

أ- القائد انطونيوس الساعد الأيمن ليوليوس قيصر.

ب- القائد أوكتافيوس ابن أخت يوليوس قيصر وابنه بالتبني.

واتفق القائدان الكبيران على اقتسام ممتلكات الجمهورية الرومانية:

-انطونيوس : يحكم الشرق بما فيها مصر وسوريه وآسيا الصغرى.

-أوكتافيوس : يحكم ايطاليا وفرنسا وأسبانيا وشمال إفريقيه.

ولكن في عام 31 ق.م . تبادل القائدان الإتهامات وصلت الإتهام بخيانة الدولة فأعلن اوكتافيوس حرباً مقدسة على انطونيوس وزوجته كليوباتره، آخر ملوك البطالة وانتهت الحرب بإنتصار أوكتافيوس في معركة أكتيوم في مصر وضم أوكتافيوس مصرعام 30 ق.م. فأصبح أوكتافيوس سيد روما فكان هذا التاريخ نهاية عصر الجمهورية في روما وبداية عصر الإمبراطورية.

## 3- مرحلة عصر الإمبراطورية الرومانية (27 ق.م – 476 ميلادية).

يعتبر أوكتافيوس المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الرومانية ويرى العلماء أن الإمبراطورية الرومانية مرت بمرحلة التكوين ثم وصلت إلى أوج قوتها وعظمتها ثم بدأ في الضعف والانحدار حتى وصلت الى الانقسام والاضمحلال.

أطلق أوكتافيوس على نفسه اسم يوليوس قيصر أوكتافيوس، وعندما أعاد إلى مجلس الشيوخ اعتبارهم وأرضاهم أطلقوا عليه لقب أغسطس. ومعناها (الجليل المحترم) وقد اشتهر بهذا الإسم، ومن أبرز إصلاحاته:

1. أعاد لمجلس الشيوخ سلطتهم التشريعية
2. أسس جيشاً نظامياً بديلاً من نظام التعبئة للحرب
3. قسم الإمبراطورية إلى ولايات وقسم السلطة فيها إلى :

( الولايات المشيخية : تابعة لمجلس الشيوخ -الولايات القنصلية : تابعة للقنصل بمعنى يتولى هو سلطتها)

4.جعل مصر لأهميتها ولاية رومانية تابعة له مباشرة.

5.أصبح القائد الأعلى للجيش.

6.اهتم بتطوير جميع مجالات الدولة وكذلك الحياة الفكرية والثقافية ويعتبر عصره العصر الذهبي للآداب الرومانية.

7.توفى في عام 14 ميلادية فكان مولد المسيح عيسى عليه السلام في عهده.

يعتبر الإمبراطور تراجان(ماركوس اوليبوس تراجانوس) من أبرز وأشهر الشخصيات في عصر الإمبراطورية وتولى الحكم في روما عام 98م وكان يعرف ببساطته وتواضعه فأحبه عامة الناس كما نظم الشئون المالية ونظام الضرائب وألغى نظام الاحتكار في التجارة لذلك تميز عهده بالرخاء والإزدهار في مختلف

النواحي . قاد العديد من الحملات العسكرية في أوربا والشرق بحيث وصلت الإمبراطورية الرومانية في عهده قمة اتساعها وازدهارها.توفى في عام 117م وترك الإمبراطورية الرومانية في أوج عظمتها وقوتها واتساعها.بعد عصر تراجان دخلت الإمبراطورية في مرحلة الضعف وعندما تولى العرش الإمبراطور دقلديانوس عام 284 م قام بالعديد من الإصلاحات شملت النواحي الإدارية والسياسية والعسكرية والمالية في محاولة منه لحفظ الإمبراطورية في التفكك، قسم الإمبراطورية الى أربعة وحدات سياسية:

-وحدتان سياسيتان في الشرق

-وحدتان سياسيتان في الغرب

وجعل على كل وحدة سياسية حاكم يقيم فيها، وهذا النظام الإداري ساعد بعد ذلك على شطر الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي. وتميز آخر عهده بالإضطرابات الدينية لأنه رفع مكانة الإمبراطورية إلى درجة التأليه فرفض الرومان ذلك لأن المسيحية كانت قد انتشرت بينهم وهي دين التوحيد لذلك حدثت مصادمات عنيفة مع الرافضين للفكرة فعذب وقتل الكثير منهم، وأخيرا تخلى عن العرش في عام 305 ميلادية.

بعد عصر دقلديانوس بدأت الصراعات والمنافسات بين حكام الوحدات السياسية انتهت بوجود إمبراطوريتين إحدهما في الشرق وأخرى في الغرب . وقد نجح قسطنطين الأول في أن يسيطر على الشرق عام 323 ميلادية فكان هذا التاريخ بداية الإنقسام إلى إمبراطوريتين وهما:

أ- الإمبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية

ب- الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما.

سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد القائد الجرماني" أودكر "عندما احتل مدينة روما في عام 476م وكان آخر الأباطره فيها هو الإمبراطور رومولوس أغسطس ويعتبر هذا التاريخ نهاية التاريخ الروماني .ظلت الإمبراطورية الرومانية الشرقية والتي عرفت بإسم الإمبراطورية البيزنطية قائمة حتى فتحها المسلم القائد محمد الفاتح في القرن الخامس عشر الميلادي .

## مظاهر الحضارة الرومانية

### النظام العسكري ونظام الحكم.

### أولا- النظام العسكري

- التجنيد: متى احتاجت الحكومة إلى جنود يصدر القنصل أمره إلى جميع اللائقين للخدمة أن يجتمعوا في معبد كبتول وهناك يتم اختيار من ينبغي لهم التجنيد.
- التسليح: اعتاد الرومان أن يحاربوا مترجلين ومدرعين بالدروع والخوذ والترس والسيوف والرماح.
- المعسكر: يحمل الجندي الروماني حملا ثقيلا مؤلفا من السلاح والطعام تكفيه أياما.

- الغلبة: كلما ظفر أحد القوات يصدر مجلس الشيوخ إليه بأن يحتفل بما تم له من الغلبة دليلا على تشريفه.

- الجيش: كان الجيش في ظل الجمهورية الرومانية يتألف فقط من المواطنين الذين يملكون الأرض. فقد أدرك الرومان أن أصحاب الممتلكات لهم نصيب أكبر في الجمهورية من الذين لا أرض لهم، وبالتالي سيدافعون عنها بشكل أفضل.

عندما بدأت روما بشن الحروب، فيما وراء البحار، احتاجت جنودًا أكثر، وكان على هؤلاء الجنود الخدمة في الجيش لفترات أطول. ولكن في سنة 107 ق.م. ألغت الحكومة الرومانية شرط الملكية وفتحت الجيش للمتطوعين. وبذلك أتاح الجيش لعدد كبير من الرومان مهنة طويلة الأمد. وفي وقت لاحق أصبح عدد الذين يجندون من الولايات يزداد تباعًا. وفي سنة 20 ق.م. كان نحو 30000 رجل يخدمون في الجيش الروماني.. كان معظم الجنود من المحترفين.

لم تكن مهنة الجنود الرومان القتال فحسب، وإنما قاموا أيضًا ببناء الطرق والقنوات المعلقة والأسوار والأنفاق. وبعد أن وصلت روما إلى أقصى اتساع لها كانت المهمة الرئيسية للجيش هي الدفاع عن حدود الإمبراطورية. ولهذا تمركزت قوات عديدة على طول نهري الراين والدانوب. كما أقيمت مراكز عسكرية مهمة أخرى في مصر وسوريا وغيرهم.

## ثانيا: نظام الحكم ( النظام السياسي):

1.الجمهورية الرومانية. قامت الجمهورية الرومانية بعد أن خلع النبلاء الرومان الملك سنة 509 ق.م. واحتفظ نظام الحكم الجديد بملامح كثيرة من النظام السابق، بما في ذلك مجلس الشيوخ والمجالس الشعبية. وكان يترأس الحكومة موظفان منتخبان يُسمى الواحد منهما قنصلاً. ومع أن القنصلين تقاسما السلطة ولكن كان بإمكان أي منهما نقض إجراءات القنصل الآخر. وكان القنصل يخدم لمدة سنة واحدة فقط.

كان مجلس الشيوخ أقوى الهيئات الحكومية سلطة في الجمهورية الرومانية. كان يوجه السياسة الخارجية، ويصدر المراسيم، ويعالج الأمور المالية الحكومية وكانت عضوية مجلس الشيوخ مدى الحياة. وكان أعضاء هذا المجلس، في البداية، من الأشراف، أي أنهم كانوا أبناء أقدم عائلات روما وأغناها. وقد هيمن هؤلاء الأشراف ليس على مجلس الشيوخ فحسب بل أيضًا على المجلس الذي كان ينتخب القناصل والموظفين المهمين الآخرين. أما بقية مواطني روما، والذين سُمُّوا العامَّة فلم يكن لهم إلا نفوذ سياسي ضئيل.

وقد شكَّل العامة، مجلسهم الخاص، وهو مجلس العامة للحصول على حقوق سياسية، وانتخبوا زعماء أطلق عليهم اسم التريبيون. وبجهود التريبيين ازدادت مكانة العامة، تدريجيًا، إلى أن حصلوا على الحقوق السياسية نفسها التي يتمتع بها الأشراف. وفي وقت لاحق ظهر مجلس جديد أوسع، وهو جمعية القبائل، مثّل الأشراف والعامة معًا. ولكن العامة كانوا هم المهيمنين بصورة رئيسية على هذا المجلس.

دامت الجمهورية الرومانية حتى سنة 27 ق.م، أي نحو 500 سنة، وجمعت زعماء دولة أقوياء ومجلس شيوخ ذا هيبة، مؤلفًا من أقدم رجال الدولة، ومجالس استطاع من خلالها الشعب أن يُسمع صوته.

2.الإمبراطورية الرومانية: تأسست الإمبراطورية الرومانية بعد انهيار الجمهورية سنة 27 ق.م، بعد تقريبا 20 سنة من الحرب الأهلية. ودامت الإمبراطورية حتى سقوط روما سنة 476م. وخلال ذلك الوقت أمسك الأباطرة بالسلطة العليا، وأبقوا على المؤسسات الحكومية القديمة للعصر الجمهوري. ويعينون أعضاء جددًا لمجلس الشيوخ. ولم يكن للمجالس الشعبية سوى سلطة ضئيلة. وكان الأباطرة يقودون الجيش، ويتحكمون في صياغة القانون، ويعتمدون على مستشاريهم أكثر مما يعتمدون على مجلس الشيوخ. وكان هناك جهاز واسع من الموظفين المدنيين يقوم بتصريف شؤون الإمبراطورية يومًا بيوم.

## القانون.

نشر الرومان أولى مدوناتهم القانونية المعروفة نحو سنة 450 ق.م. وسجلت هذه المدونة، التي أطلق عليها اسم القوائم الاثنتي عشرة للقوانين، الأعراف السائدة بشكل مكتوب. وظل القانون الروماني مرنًا واعتمد على تفسيرات لمحامين وقضاة مهرة.

وتطورت، بمرور السنين، مجموعة شاملة من القواعد التشريعية، طُبِّقت على مختلف الشعوب التي تعيش في ظل الحكم الروماني. وأطلق المحامون الرومان على هذه المجموعة من القواعد التشريعية اسم قانون الأمم. وقد ارتكز قانون الأمم هذا على الأفكار البديهية للعدالة، مع مراعاة التقاليد والأعراف المحلية.

## النظام الاقتصادي

### أولا- الزراعة:

كان نحو 90٪ من سكان العالم الروماني يعيشون على الزراعة. وقد أدرك الرومان الحاجة إلى محاصيل دورية. كما عرفوا أيضًا أن تَرْك نصف الحقل بورًا كل سنة يجعل التربة أغنى لزراعة المحاصيل في السنة التالية. ولكن قلة من أصحاب الأراضي استطاعوا تحمُّل مثل هذا الأسلوب.

زرع الفلاحون الوديان الخصبة، شمالي وجنوبي مدينة روما، حبوبًا، مثل القمح والشيلم والشعير. أما على منحدرات التلال، وفي التربة الأقل خصوبة، فقد زرعوا الزيتون والكرم، وربوا الغنم والماعز. كما ربّى المزارعون الرومان الخنازير والأبقار والدجاج. وعندما توسعت الإمبراطورية تزودت روما بمنتجات زراعية عديدة من مزارع الغال وإسبانيا وشمالي إفريقيا.

### ثانيا- الصناعة.

لم تصبح مدينة روما مركزًا صناعيًا في العصور القديمة إطلاقًا؛ فقد كانت تستورد معظم السلع المصنعة. ولكن مناطق إيطالية أخرى كانت تزود العاصمة بمنتجات، مثل الفخار والأواني الزجاجية والأسلحة والأدوات والمنسوجات. كما أنها صنعت الآجر والأنابيب الرصاصية التي يحتاجها الرومان لِأشرعة

السفن. وعندما توسعت الإمبراطورية تطورت مراكز صناعية مهمة خارج إيطاليا، كانت بمثابة أسواق محلية وصدَّرت سلعًا إلى روما.

ثالثا- التعدين.

كان واحدًا من أكثر نشاطات روما القديمة أهمية. فقد تطلبت مشاريع البناء الضخمة في الإمبراطورية كميات كبيرة من الرخام والمواد الأخرى. وجاء الرخام من اليونان وشمالي إيطاليا. كما وُجد في إيطاليا النحاس ومناجم غنية بخام الحديد. وجاء القسم الأكبر من الذهب والفضة في الإمبراطورية من إسبانيا. وأنتجت مناجم بريطانيا الرصاص والقصدير. وكان العمل في المناجم شاقًا وغير صحي. وأجبر الرومانُ المستعبدين والمجرمين المحكومين وأسرى الحروب على العمل فيها.

رابعا- التجارة.

ازدهرت التجارة مع توسع الإمبراطورية الرومانية. فقد نقلت السفنُ البحرية الضخمة البضائع بين موانئ البحر المتوسط. ومن ثم كانت العربات والمركبات تقوم بنقل هذه البضائع على شبكة الطرق الإمبراطورية الواسعة.

كانت الواردات الرئيسية لمدينة روما تشتمل على المواد الغذائية والمواد الخام والسلع المصنعة. وصدَّرت شبه الجزيرة الإيطالية الخمور وزيت الزيتون. وتاجر الرومان مع بلاد تقع خارج الإمبراطورية أيضًا. فقد استوردوا، مثلاً، الحرير من الصين، والتوابل والأحجار الكريمة من الهند وجنوبي الجزيرة العربية، والعاج من إفريقيا.

وسكَّت الحكومة الرومانية قطعًا نقدية من الذهب والفضة والنحاس والبرونز. وتحكمت بالموارد المالية لجعل التجارة أكثر سهولة.

خامسا- النقل والاتِّصالات :

كانت هناك شبكة رائعة من الطرق تتقاطع في داخل الإمبراطورية. وكانت تمتد إلى نحو 80 ألف كلم وتساعد على إبقاء الإمبراطورية متماسكة. وبنى الجيشُ الروماني طرقًا لتسهيل تحركات القوات العسكرية. كما عزّزت الطرق أيضًا في جانبي التجارةَ والنَّقل. وأُعتمد النظام البريدي الروماني المنظم بدرجة عالية جدًا على شبكة الطرق. وكانت الطرق الرومانية المستقيمة والمرصوفة من روائع الزمن.

بل، وبنى الرومان أضخم أسطول من سفن النقل في العصور القديمة. وأبحرت سفنهم إلى كل موانئ البحر المتوسط، وفي الأنهار الكبيرة مثل الراين والدانوب والنيل.

## الحياة الاجتماعية، العلمية و الدينية

### أولا- الحياة الاجتماعية

- السكان:

في كل أرجاء الإمبراطورية، نجد اللغتين اللاتينية واليونانية. ولكن معظم الشعوب المغلوبة استمرت في استخدام لغاتها المحلية؛ ففي كل من الغال وبريطانيا، مثلاً، كان الناس يتكلمون اللغة السلتية، وفي شمالي إفريقيا اللغة الأمازيغية ويتكلمون في سوريا وفلسطين الآرامية، وفي مصر اللغة المصرية القديمة في لهجتها القبطية.

انقسم سكان روما القديمة إلى طبقات اجتماعية متعددة. وكانت قلة من الرومان تنتمي إلى الطبقة العليا. وشكَّل أعضاء مجلس الشيوخ وعائلاتهم الفئة الأعظم نفوذًا من بين أفراد هذه الطبقة، أما معظم الناس فكانوا من الطبقات الدنيا، ومكانتهم الاجتماعية وضيعة. وكان الرومان يُميِّزون، داخل الفئة الأخيرة نفسها، بين المواطنين والمستعبدين. فقد ضمت فئة المواطنين المزارعين الصغار وعمال المدن والجنود، في حين كان معظم المستعبدين أناسًا تم أسرهم في الحروب. وقد أصبح بإمكان المستعبدين في وقت لاحق أن يشتروا أو يُمنحوا حريتهم ويصبحوا أحرارًا، ثم مواطنين في نهاية المطاف.

ومع توسع العالم الروماني وظهرت طبقة اجتماعية جديدة تتمتع بأهمية كبيرة. تألفت من ملاك الأراضي الأثرياء وأصحاب الأعمال. وقد أطلق عليها اسم طبقة الفرسان، واحتل أفرادها في ظل الحكام الأباطرة مناصب حكومية مهمة، وأسهموا في إدارة الخدمات المدنية للإمبراطورية.

- حياة السكان

*الحياة في المدينة: كانت روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وكبرى المدن فيها ،كانت المدن في الإمبراطورية الرومانية مراكز للتجارة والثقافة. وقد خططها المهندسون الرومان بعناية فائقة، شيدَّوا المباني العامة في أماكن مناسبة، وزودوها بشبكات المياه والمجاري. وكان الأباطرة أو الأثرياء يدفعون الأموال اللازمة لإنشاء المباني العامة الضخمة، مثل: الحمامات والملاعب الرياضية والمسارح. وفي قلب المدينة يقع الفورم الروماني، وهو ميدان كبير مكشوف تحيط به الأسواق والمباني الحكومية والمعابد. وقد اختلط الغني بالفقير في هذا الميدان الصاخب، وفي الحمامات والمسارح والملاعب.

**الحياة في الريف: كان الرومان الأوائل رعاة ومزارعين. وفي روما القديمة كوَّن المزارعون الذين يعملون في أراضيهم الخاصة العمود الفقري للجيش الروماني. وكان هؤلاء يزرعون محاصيلهم في الربيع ويحصدونها في الخريف. أما خلال الصيف فيُجندون في الجيش.

وقد تغيرت الحياة الريفية بعد أن بدأت روما في توسيع رقعتها؛ إذ أُرسل عدد كبير من المزارعين لخوض الحروب الخارجية لفترات طويلة، وبذلك كانوا مضطرين لبيع أراضيهم. فأقام أثرياء الرومان مزارع

كبيرة زرعوا فيها المحاصيل وربوا المواشي من أجل التجارة، واشتروا المستعبدين للعمل لديهم. كما كانوا أيضًا يؤجرون الأراضي للمزارعين التابعين لهم. كانت الحياة شاقة بالنسبة لمعظم المزارعين. ولكنهم كانوا يتشوقون إلى الأعياد الدورية التي تقام عند زراعة الأرض وحصادها، وكانت تشتمل على ألعاب رياضية وتسليات أخرى.

***الحياة العائلية:

كان رب الأسرة الرومانية صاحب سلطة مطلقة على جميع أفراد أسرته، تصل إلى حد بيع أولاده رقيقًا أو حتى قتلهم. ولم يكن بإمكان الابن حيازة أية ملكية خاصة أو التمتع بأية سلطة شرعية بما في ذلك أولاده، مادام أبوه على قيد الحياة. وبالتالي فقد كانت الأسرة الكبيرة كثيرة العدد، تشتمل على الأولاد المتزوجين وعائلاتهم.

- التعليم.

لم يكن في روما القديمة مدارس للدولة. وكان الأطفال يتلقون تعليمهم الأول في البيت تحت إشراف والديهم. وكان معظم الأولاد وبعض الفتيات ما بين سن السادسة أو السابعة وحتى العاشرة أو الحادية عشرة من عمرهم يلتحقون بمدارس خاصة أو يدرسون في منازلهم. وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب. وكان المستعبدون يعلِّمون الأولاد في عدد كثير من المنازل؛ ومن الجدير بالذكر أن بعض المستعبدين، وبصفة خاصة الذين كانوا من الإغريق، ظهروا أكثر تعليمًا من ساداتهم.

أما معظم الرومان الذين كانوا يتلقون تعليمًا أكثر من ذلك، فقد كانوا من أبناء العائلات الثرية الذين يدرسون حتى الرابعة عشرة، بصورة رئيسية قواعد اللغتين اللاتينية واليونانية والأدب، وكذلك الرياضيات والموسيقى والفلك.

وكان التعليم العالي، في روما القديمة، يعني دراسة الخطابة. والرومان الذين درسوا الخطابة من أبناء الطبقة العليا هم وحدهم الذين مارسوا مهنة في القانون أو السياسة؛ لأن التدريب على الخطابة كان يوفر المهارات اللازمة لطرح المشكلات أمام المحاكم القانونية أو مناقشة المسائل في مجلس الشيوخ الروماني. وكان الطلبة يدرسون أحيانًا الفلسفة والتاريخ أيضًا من أجل تحسين قدراتهم كخطباء في المحافل العامة. أما النساء اللوّاتي درسن الخطابة فقد كن قلة، لِأن عالم السياسة كان حكرًا على الرجال.

- الغذاء والملبس والمأوى.

وكانت وجبة الإفطار خفيفة من الخبز والجبن. ويتناول معظم الرومان وجبة الغداء قبيل منتصف النهار. أما بالنسبة إلى أثرياء الرومان فكانت وجبة الغداء تتألف من اللحم أو السمك والزيتون والفاكهة. أما وجبة العشاء، وهي الوجبة الرئيسية، فكانت تبدأ في وقت متأخر بحيث تنتهي قبل غروب الشمس.

كان الرومان يرتدون ثيابًا خفيفة من الصوف أو الكتان. وكان الثوب الرئيسي للرجال والنساء رداءً يُسمى التيوتك وهو قميص قصير يتدلى إلى الركبة أو ما دونها، وكان التيوتك بمثابة ثوب نوم أيضًا. وفوق هذا التيوتك كان الرجال يرتدون عباءة تدعى التوجة، كما كانت النساء يرتدين عباءة تدعى البالا التي تلتف حول الجسم. وغالبًا ما كانت ثياب الرجال بيضاء اللون، ولكن برغم ذلك فإن التوجة التي تلبسها الطبقة العليا من الرومان كانت ذات حافة أرجوانية. أما ثياب النساء فكانت على الأغلب مصبوغة بألوان متعددة.

وفي المدن، عاش معظم الرومان في بيوت متراصة الصفوف، مؤلفة من ثلاثة إلى خمسة طوابق. وكان باستطاعة أثرياء الرومان فقط امتلاك بيوت. وكانت بيوتهم تبنى حول فناء يدعى آتريوم (البهو الروماني). وكانت معظم الغرف المحيطة بهذا الفناء صغيرة ودون نوافذ، إلا أن هذا الفناء كان فسيحًا ويغطيه سقف له فتحة تسمح بدخول الضوء والهواء. وكانت للبيوت أفنية بأعمدة تدعى برستايل (الفناء المعمد) وكانت بمثابة حدائق داخلية. أما الفقراء في المناطق الزراعية فقد عاشوا في أكواخ صنعت من اللّبن المجفف بالشمس.

ثانيا: الدين.

كان الرومان الأوائل يعتقدون بأن لِآلهتهم سلطة على الزراعة وعلى نواحي الحياة اليومية كلها. فقد كانوا يزعمون أن "سيريز" مثلاً لِألهه للحصاد، و"فستا" حارسة نار الموقد، و"يانوس" حارس الأبواب. وكانت الآلهة، المسماة "لاريس وبيناتيس" تحرس الأسرة والبيت. حتى أن جوبيتر الذي أصبح مؤخرًا أكبر آلهتهم عُبد في بادئ الأمر إلهًا للسماء ومتحكمًا في الطقس.

تزايد احتكاك الرومان بالأفكار الإغريقية خلال القرن الرابع قبل الميلاد. ومن ثم أخذوا يعبدون الآلهة الإغريقية، وأعطوها أسماء رومانية وبنوا معابد ومزارات لتكريمها. وقد سيطرت الحكومة على الدين. وكان الكهنة موظفين حكوميين إما بالانتخاب أو بالتعيين، يقومون بالطقوس العامة التي كانوا يرون أنهم يكسبون بها عطف آلهتهم على الدولة.

فَقَدَ عدد كبير مِن الرومان في القرن الأول الميلادي اهتمامهم بديانتهم. وجذبتهم الأديان السماوية التي كانت تخاطب فطرتهم الإنسانية وتبيّن لهم طريق الخير في الدنيا والآخرة. وكسبت النصرانية أتباعًا كثيرين في ذلك الوقت.

ثالثا: الفنون والعلوم.

النحت والرسم: اقتبس النحاتون والرسامون الرومان أعمالهم من الفن الإغريقي ومن التقاليد الإيطالية المحلية. وبالتالي فقد عكست أعمالهُم الفنية الأشكال الإنسانية النابضة بالحياة من الفن الإغريقي، كما عكست الجوانب الأكثر واقعية للفن الإيطالي المحلي.

أبدع النحاتون الرومان صورًا واقعية تمثل أشخاصًا معينين. كما أنهم صوروا أحداثًا تاريخية بالنحت على المنشآت العامة الضخمة. فمذبح السلام مثلاً المزخرف غاية الزخرفة يمجد السلام الذي جاء به

الإمبراطور أوغسطس إلى الإمبراطورية. كما كانت هناك منحوتات على الأعمدة العالية، وعلى أقواس النصر تصور الحملات العسكرية.

وزينت رسوماتُ الجدران الضخمة بيوتَ الطبقة الميسورة من الرومان. وتُظهر مثل هذه الرسومات مناظر الحدائق وأحداثًا من الأساطير الرومانية ومشاهد من الحياة اليومية. وجعلت الرسومات الملونة بألوان عديدة والمبتكرة باهتمام ودقة الغرف في البيوت تبدو أجمل وأكثر بهاءً.

الأدب اللاتيني: ازدهر في عهد أوغسطس بين عامي 27 ق.م و 14م. وقد كتب الشاعر فيرجيل ملحمته الشهرية الإنيادة عن نشأة مدينة روما.

الأدب: تأثر الأدب في روما تأثرًا كبيرًا بشعر الإغريق وآثارهم المسرحية. وتكيَّف الشعراء والمسرحيون الرومان، من أمثال نايفيوس وإنيوس والكتاب المسرحيون من أمثال تيرينس بلاوتوس مع الأشكال الإغريقية من أجل الجمهور الروماني.كما بنى "قيصر" و"سالوست" كتاباتهما التاريخية على النماذج الإغريقية. وأبدع شعراء روما الكبار أمثال كاتولّوس ولوكريتيوس وأوفيد وفيرجيل، وتاكيتوس ـ ألمع مؤرِّخي روما ـ أعمالاً عظيمة وأصيلة. هذا بالإضافة إلى مؤلفات أخرى مهمة في الأدب اللاتيني تشتمل على خطب "شيشرون " و"نقائض هوراس وجوفينال"، و"رسائل شيشرون" و"بلينيوس الأصغر".

العـــــلوم: كانت الكشوف العلمية للرومان القدماء قليلة. غير أن أعمال العلماء الإغريق ازدهرت في ظل الحكم الروماني. فطاف الجغرافي الإغريقي سترابون في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وكتب وصفًا دقيقًا لما شاهده. كما طوّر الفلكي اليوناني بطليموس الذي عاش في مصر نظرية الكون التي ظلت مقبولة لنحو 500 سنة. وافترض الطبيب الإغريقي جالينوس نظريات طبية مهمة اعتمدت على تجارب علمية. كما جمع الرومان أنفسهم مجموعات مهمة من المعلومات العلمية. منهم تصنف بليني الأكبر الذي أَلَّف دائرة معارف في 37 مجلدًا بعنوان "التاريخ الطبيعي.